

## الديكتاتور الذي أطلعتة الديمقراطية الأمريكية لن يجلب الدولة للفلسطينيين

ناهض منير الرئيس

النائب عن مدينة غزة

ليست الديكتاتوريات وحدها هي التي تولد الكوارث لشعوبها وللعالم .  
فزعيمة الديمقراطية الغربية وضعت العالم كله اليوم على حافة هاوية  
سحيقة . والمحور الذي ينعقد اجتماعه حاليا في قاعدة عسكرية بجزر  
الآزور بعيد عن أن يعد لقاء تشاوريا بين فرقاء يملك كل منهم وجهة نظر  
يود مناقشتها مع الآخرين . إن الأطراف الثلاثة عبرت عن تصميم واحد  
على الذهاب للحرب ضد العراق في أقرب وقت . والعلاقة بين الذي يبدو  
رأسا لهذا المحور ( بوش ) وبين كل من ذنبه النجس ( بلير ) وزائدته  
الدودية ( أرنار ) هي العلاقة التي أبدع في وصفها النائب البريطاني جورج  
جالاوي حين قال ذات يوم : إن الكلب هو الذي يحرك الذنب ، وليس الذنب  
هو الذي يحرك الكلب . يعني أن بلير وأمثاله لا يزيدون عن أن يتلقوا  
الأوامر ويصدروها لجيوشهم من جديد ، كأنها صادرة عنهم أصالة .

وعموما إن بوش نفسه في حقيقة أمره لا يخرج عن كونه طرازا آخر  
من بلير . وتفسير ذلك أن الحياة الحزبية التي يهيمن عليها التجار ورجال  
الأعمال محترفو السياسة في الولايات المتحدة انتهت إلى إفراغ الديمقراطية  
الأمريكية من المضمون الجدي . وباتت الديمقراطية في تلك البلاد عملية  
إخراج مسرحي كبرى ، لها طقوسها وحركاتها وتقاليدها ومواسمها ، ولكن  
المنتج هو صاحبها الذي يقف وراء مضمونها وأبطالها وممثليها  
الكومبارس ومخرجيها وصانعي ديكوراتها ومحركي فعاليتها وتؤول إليه  
في نهاية المطاف حصيلة الشباك . وهو ديكتاتور خفي . ولكنه لم يعد يبالي  
مؤخرا إذا ظهر للعيان . ولا فرق في النتيجة والجوهر بين النتائج التي  
يؤدي إليها نظام الإخراج المسرحي الديمقراطي المعقد في الولايات المتحدة

وبين النتائج التي تتبناها في المعتاد مجموعة الهياكل الشكلية التي يلفقها الديكتاتور لنفسه كي يسبغ على حكمه قشرة من الإرادة الجمعية .

وها نحن نلمس النتيجة . فالعالم يسوده الاضطراب والارتباك أكثر من أي زمان سابق . وملايين الناس يببتون في خوف على أطفالهم . والمجتمعون في الأزور لا أهمية في حساباتهم لملايين الرجال والنساء المتظاهرين ولا للمعارضة السياسية في بلدانهم والبلدان الأخرى ضد الحرب ! ولا أهمية بالأحرى لشعب العراق وملايين رجاله ونسائه المستهدفين بالموت المروع والدمار الرهيب ! ولا أهمية لمعارضة ثلاثة أعضاء من أصل خمسة دائمين في مجلس الأمن ضد الحرب ! ولا أهمية في حسابات المجتمعين في الأزور لتفسيخ الحلف الأوروبي - الأمريكي الذي كان حتى الآن أبرز ركن وأظهر حقيقة في النظام الدولي والعلاقات الدولية . كما لا أهمية في حساباتهم للتقارب الذي أدخل روسيا بعد انهيار شيوعيتها وأدخل الصين بعد نهجها الانفتاحي إلى منظومة النظام الدولي الجديد ، وإذا بروسيا تعرب في مرحلة حسم المواقف عن انتمائها لأوروبا واستعدادها أن تستخدم حقها في الفيتو بمجلس الأمن إذا وجدت أن الموقف يستدعي ذلك ، دون أن تتجشم مشقة الاعتذار لأمريكا التي ظنت أنها ضمنت الموقف الروسي على أثر زيارة بلير ثم بوش لروسيا وتلويحهم لها بأن امتيازها النفطي الذي سبق أن حصلت عليه بموجب صفقة العمر مع الحكومة العراقية سيظل في أمان .. !!

## انكشاف الأنظمة

لقد وضع المنتج - الديكتاتور في الولايات المتحدة العالم كله على شفا الهاوية . ويبدو أنه مصمم على جره إلى الحضيض وقد أصم أذنيه عن الصيحات والنداءات والاستغاثات جميعها . ولم يستتبط مغزى الإشارات ولا التفاعلات الناجمة عن مجرد الأعمال التحضيرية للحرب التي يريد إشعال نارها . لم يبالي مثلاً بأن المواطنين الكويتيين الذين يحسب أنهم ممن يسبحون بحمده في الخليج ، قاموا بتوجيه سلاحهم ضد جنوده وقواته وأنه لولا إغلاق المناطق التي تتواجد فيها القوات الحربية الأمريكية لحدث مزيد من العمليات الحربية ضدهم . ولم يبالي بأن مجلس النواب التركي قرر عدم

السماح للقوات الأمريكية بانتهاك حرمة الأراضي التركية وأن القيادات العسكرية التركية المؤتمرة بأمر الأمريكيين لم تر المناخ مناسباً للقيام بانقلاب عسكري جديد . ولم يبال بأن فتح الجبهة الشمالية للحرب في العراق فتحت الباب واسعا للفتن العرقية بين الأكراد والتركمان والعرب وأن قلقة النظام القائم لم تبشر بحلول نظام بديل متماسك قابل للبقاء . ولم يبال بأن جميع الأنظمة العربية التي تعد محسوبة عليه أو موالية له انكشفت أمام جماهيرها على نحو يهدد وجودها ومصيرها وبالتالي سلسلة المصالح والأوضاع المرتبطة بها .

إنها سياسة حمقاء متهورة في نظر العقلاء من الغربيين ، وهي جريمة وجناية نكراء في نظرنا نحن أهالي المنطقة ، وهي في جميع الأحوال دليل على الإفلاس الأخلاقي الذي يسود أوساط النخبة السياسية الأمريكية . وهذا الرجل الذي كان مدمن كحول ، والذي يصفه بعض الصحفيين في بلاده وبعض رجالات الدولة في العديد من البقاع بأنه متخلف عقليا ، والجميع - عدا إسرائيل طبعاً - يلعن الساعة التي وصل فيها مع فريقه من أصحاب رؤوس الأموال وحملة أسهم شركات النفط إلى البيت الأبيض .. هذا الرجل جدير بأن يتسبب في حرب عالمية ثالثة . أليست تلك هي النتيجة المحذورة التي يخشى وقوعها جراء تهور رجل يظن أن له السلطة التي تخوله مخاطبة هيئة الأمم المتحدة كما يخاطب المعلم تلاميذه الكسالى ، والذي يتشدق بالقول : إنه يريد قرارا بالحرب من مجلس الأمن ولكن ذلك ليس ضروريا لأنه يستطيع أن يشن حربته دون تفويض من أحد !

## ليس النفط وحسب ..

ولو افترضنا بأن الحرب الثالثة مستحيلة بالنظر إلى تطور الأسلحة الذي ينذر بدمار غير مسبوق إذا استخدم كل طرف ترسانته النووية أو الكيماوية أو البيولوجية ، فيبقى أن النظام العالمي الدولي قد تفكك وانقسم ، وأن هذا التفكك والانقسام سيظل عنصر تهديد يضع العالم أمام خيارين يبيث كلاهما الرعب والقلق : إما التصدي لمن يزايدون نوويا وصاروخيا وفق طريقة بوش ، أو القبول بالظلم والإجحاف والتفرد بالقرار في كل شيء .

وكما قلنا من قبل نكرر : إن تصدي فرنسا بقيادة شيراك لأمريكا وذنبيها ، ونجاح الرئيس الفرنسي في تشكيل جبهة دولية تضم ألمانيا وروسيا والصين فضلا عن فرنسا ، يمثل شيئا أبعد وأهم في بواعثه من المنافسة على نفط العراق . فهذه الدول الأربعة الكبار التي تتزعم القارتين الأوروبية والآسيوية قلقة أيضا بسبب السابقة التي تريد أمريكا تثبيتها في النظام الدولي الجديد ، وفحواها أن القرار يجب أن ينحصر في الولايات المتحدة وقرارها المفرد . فهي التي توزع الخامات والأسواق ، وهي التي تعين الحكام والقادة ، وهي التي تشكل الجغرافيا السياسية على هواها وكما يناسب مصالحها .

قد لا يكون بوسع البسطاء أن يتخيلوا كل ما يمكن أن ينجم عن التسليم بهذه السابقة والسماح لها أن تمر . ولكن جاك شيراك وجيرهارد شرودر فطنا لها كما هو منتظر من ممثلي الدولتين الأوروبيتين الأعرق في السياسة . وهكذا انبريا للمهمة دون أدنى تردد ولا تراجع . واستطاعا أن يفتعا روسيا والصين بأن العواقب أخطر من أن يصمت دونها أي عاقل لمجرد أنه يأمل بالإبقاء على حباله الممدودة مع أمريكا في انتظار أن تعطيه حصة أكبر من حصص الآخرين من وراء ظهر الآخرين كما حاول بوش بدبلوماسية العرجاء أن يلوح للبعض . وبالفعل نجح شيراك في جذب روسيا والصين إلى موقف كانتا تأملان أن تتجنباه وأن يبقى الموقف مرتخيا بحيث لا يتطلب منهما الحسم . وبهذا بدا شيراك أكثر شجاعة من ناحية وأقرب إلى القيم والأخلاق من ناحية أخرى ، ولو أن موقفه في الأساس موقف سياسي نفعي يبحث عن المصلحة الفرنسية والأوروبية . ومن الجدير بالذكر أن ألمانيا توكل إلى فرنسا في العادة أمر التصدي للمواقف التي تخشى أن تثير حفيظة الإسرائيليين والصهاينة في أنحاء العالم . فما زال سيف معاداة السامية بيد يهود أمريكا مرعبا في ألمانيا بعد مرور ستين عاما على نهاية الحرب العالمية الثانية وموت هتلر ، وكل سياسي ألماني يخشى هذه التهمة . أما فرنسا فمن الصعب اتهام قادتها بمعاداة السامية بالسهولة ذاتها .

من يدفع الفواتير؟!!

وبالطبع إن منطقتنا العربية - الإسلامية هي الميدان الأول والأهم لأطماع الولايات المتحدة . فنحن وإفريقيا المجالان الوحيدان اللذان يؤهلها تخلف قادتها وأنظمة الحكم فيهما ليلعبا دور الفرائس في هذا العالم الذي ينقسم إلى مفترسين وفرائس . ولما كانت القارة الإفريقية قد نهبا المستعمرون واستوطنت فيها المجاعات ، فإن العيون تتجه نحو شرقنا الأوسط وما يكمن في باطنه من طاقة وخامات . والأمريكيون يعرفون جيدا مبلغها ومقدراها وقيمتها . وهم لا يجدون داعيا لشرائها بثمنها حين يرون أنهم يمكن أن يستولوا عليها مجانا . وهناك في اللغو الشعبي عبارة تقول ( ببلاش الإ ربع ) . وهي الحالة التي تحكم علاقة التبادل التجاري بين دولنا الغنية وبين الأمريكيين . فقد استولى هؤلاء على نפט العرب مقابل أثمان بخسة . ولم يكتفوا بذلك بل وضعوا تلك الأثمان البخسة في مصارفهم أرقاما لا تتحول إلى نقد سائل باليد إلا وفق إرادة صاحب المصرف وبالقدر الذي يوافقه ويبقى الباقي ( بترودولار ) . ولم يكتفوا بذلك بل استردوا ذلك المال الذي وصل إلى أيدي جماعتنا عن طريق بيعهم أمتعة وأسلحة وسلعا لا ضرورة لها غالبا ، وعلى الأخص الأسلحة التي يحتاج تشغيلها دائما إلى خبراء أمريكيين يتقاضون أجورهم الفاحشة من رصيد البترودولار ، والتي لا يفيد وجودها بأيدي جماعتنا في الدفاع عن بلادهم إلا إذا أرادت دولة منهم أن تقاتل شقيقتها الأخرى . أما إسرائيل فالأسلحة منزوعة الأنابيب بطريقة فنية تمنعها من أن تعض إسرائيل . والأمريكيون لم يكتفوا بذلك بل اخترعوا ( موضحة ) الحروب العربية - العربية التي يدمر الطيران الأمريكي خلالها البلد العربي الآخر ، ثم تقوم أمريكا بإعمار ما سبق أن هدمته طائراتها ، ثم ترسل فواتير القوات والطائرات التي هدمت البلد العربي ( العدو ) وتخصمها من حساب البلد الحليف ، وترسل فواتير الإعمار إلى البلد المحرر وتتقاضى قيمتها بالطريقة التي تعجبها ، ولعل من أعجب العجب في هذا العالم أن ترسل الإدارة الأمريكية إلى شركات المقاولات الأمريكية عروضاً لإعادة إعمار العراق قبل أن تكون الحرب قد وقعت وفي الوقت الذي لا يزال الأمريكيون يقولون أثناءه أن الرئيس لم يتخذ قراره بالحرب بعد . ألا يعني ذلك أن الدمار وخراب الديار جنائية مخطط لها عن سابق قصد وتصميم ؟

هي ديار العرب . والمال مال العرب . والضحايا أولاد العرب . أي لا شيء ! أي هم الدريئة التي تفرغ فيها الأسلحة المراد تجريبها ، ويخوف بموتها المنافسون ذوو الأظافر والأنياب ، أمثال كوريا الشمالية التي قامت قيامة إسرائيل عليها لأنها تبيع شيئا من محتويات ترسانتها لبعض الدول العربية والإسلامية .

## لا غسل في مؤخرة الدبور

وهكذا أصبحت الدول العربية النفطية مدينة لأمريكا بعد أن كانت دائنة ، وهكذا استنزفت القدر الذي جرى استنزافه من ثروتها مقابل الأكل والشرب والمسكن ، ثم صرنا مدينين ، ومعنى ذلك أن ثروتنا راحت ( ببلاش إلا ربع ) . وها هي الآن حرب قادمة قيد التحضير والتجهيز . والله تعالى يعلم ، وربما بعض عباده يعلمون أيضا ، مقدار الديون التي سنصبح مدينين بها لحماية الحمى الأمريكيين نظير تكريمهم علينا بالمجئ بقواتهم الجوية والبحرية والبرية إلى مياهنا ويابستنا وأجوائنا ، وتأميننا بالتالي على عروشنا وكروشنا وكياناتنا الصغيرة المحبوبة ونزع أسلحة كل مفتر منا يحاول أن يقتني سلاحا ربما يستخدم ضد إسرائيل ..

إن مسألة السلاح هذه مسألة ذات بال . ونحن لا نوافق على المنطق الذي يسمح لبعض الدول أن تملك ما تريد من أصناف الأسلحة بينما يجظر ذلك على الأخرى . ففي نظرنا أن حرمان العراق من أن يكون له من الأسلحة مثل ما للولايات المتحدة أمر خال من المنطق تماما . وإذا صح ما يقوله الأمريكيون من أن العراق استخدم في يوم من الأيام سلاحا كيمياويا ضد بعض عناصر سكانه ، فإن الولايات المتحدة استخدمت قنبلتين ذريتين ضد هيروشيما وناجازاكي . والولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي ارتكبت هذا النوع من الجنايات البشعة . غير أن الوقت لم يعد يتسع لمثل هذه الأفكار والآراء مادام الجميع بمن فيهم الأوروبيون الذين وقفوا في الخندق المعادي للحرب ، وبمن فيهم إخواننا العرب يتحدثون عن الموضوع وفق الأبجدية التي اخترعها الإعلام الأمريكي : وهي ضرورة تجريد العراق من سلاحه أولا . ثم يأتي دور آخر يقال فيه لسوريا مثلا : كم صاروخا

اشترت من كوريا الشمالية ؟ وما مداها ؟ وهل تحبون تدميرها بأيديكم أم  
نوفد لكم مفتشين دوليين ؟

الوقت لا يتسع للكلام عن السلاح العربي في اللحظة الحاضرة . وكل ما  
نرجوه أن يكون المخزون النفطي الباقي في بلاد العرب كافيا لسداد فواتير  
الحروب العربية - العربية ، كي لا ينكسر خاطر ولية النعم وحامية الحرم  
أمريكا ومدلتها ذات الأسنان الفولاذية إسرائيل .

أيقول أحد بعد هذا كله إن الرئيس الأمريكي قد لا يكون صادقا في  
وعده بالدولة الفلسطينية ؟ ألا تنظرون إلى عينيه يا إخوان وهو يتكلم عن  
خريطة الطريق ؟ أهاتان العينان عيني رئيس كذوب ؟ حاشا وكلا و لا ، لا ،  
إن الرجل ما إن ينهي عمله في العراق حتى يبدأ في مخاطبة شارون كي يبدأ  
المفاوضات المباشرة مع ، رئيس وزرائنا وفريقه ؛ وجهها لوجه ؛ يوما بعد  
يوم ؛ وشهرا بعد شهر ؛ وسنة بعد سنة ؛ قد تطول وقد تقصر ، لأن المعول  
عليه هو تسليم الثمن قبل تسليم البضاعة ! والفاتحة على روح أمواتكم  
وأموات المسلمين !!



